رسائل التعزية في العصر العباسي

(نماذج من جمهرة رسائل العرب)

إعداد

د. فاطمة حسن السراحنه

أستاذ مساعد ـ الجامعة الهاشمية

الجامعة الهاشمية ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية وآدابها

تاريخ الاستلام: ١٥/ ٦/ ٢٠٢٠م

تاريخ القبول: ٢٧/ ٧/ ٢٠٢٠م

ملخص:

ينتظم فن الرسائل ضمن مظاهر الرقي الحضاري ووسائل التواصل الإنساني الرفيع، وهو حاجة إنسانية ماسّة، ومظهر للتفاعل بين المنظومات، يتبادلون فيها المشاركة بالمناسبات الاجتماعية على اختلافها، وقضاء حوائجهم، وقد اتسعت الأنشطة الحضارية في العصر العباسي، وكثرت النوائب والأحداث وتنوعت، ورافقها ألوان من الفقد والفواجع، وصاحبها الحزن والأسى والقلق، ونتج عن هذا كله رسائل التعزية.

وقد برع الكُتّاب في تلك المكاتبات، وتوسلوا إلى تنوع اللفظ، وثراء التعابير، وتعدد المضامين واختلاف الرؤية، كما ترتبط تلك الرسائل في العصر العباسي بالانفعالات النفسية والمشاركة الوجدانية، ويغلب عليها التأمل والتفكر، وتفيض بالدعوة إلى العمل الإنساني الذي يدفع الفاقد لمواصلة العمل وتحمّل البلاء والشّدة، فطاقة الكلمة المكتوبة تمثل قوة في التعامل مع آلام الموت، وفراق الأحبة، كما أن المتوفى ينتظر ناتج عمله الإيجابي بعد وفاته؛ وهذا مدعاة للأحياء ليستثمروا لحظاتهم الدنيوية لقطف ثمار التعب.

الكلمات المفتاحية: الرسائل، التعزية، العصر العباسي.

Abstract:

The art of messages is one of the manifestations of the progress of civilization and improved human communication. It is also an urgent need and one of the manifestations of the interaction between systems that exchange participation in social occasions and meet their needs. The civilizational activities expanded during Abbasi era and many events increased. These events are accompanied by various types of loss, shock, sorrow and anxiety, increase. In addition, they resulted in messages of condolence.

The writers excelled in these messages and they appealed to the diversity of pronunciation, the richness of expressions, and the multiplicity of contents. In the Abbasid period, these messages are linked to psychological emotions, and are dominated by meditation and thinking. The persistence of distress and the energy of the written word represents the power in dealing with the pain of death and the separation of loved ones, just as the deceased awaits the results of his positive work after his death, and this is the reason for living to invest their momentary moments.

Key words: Messages, Condolence, Abbasi era.

المقدمة:

زخرت كتب التراث العربي بمظاهر التفاعل مع المحيط الخارجي بضروب من الرسائل والمكاتبات، التي تقيم الصّلات مع الآخر، فتعزي حين الموت، وتشارك بالتهنئة حين الفرح، كما عزّزت تلك الرسائل من مظاهر الحضور الإنساني في مواجهة الغياب، وما أفصحت عنه من تبدل وتغير، ومن تلك الكتب التي عُنيت بمثل هذا الفنّ جمهرة رسائل العرب، مادة الدراسة، المستقاة من كتب التراث العربي.

وتنبع أهمية الدراسة من اهتمامها بنماذج إبداعية، عُنيت بقضية الموت وسطوته، وقد شكّل الموت في البنية الثقافية العربية الإسلامية حتماً مقدراً وقضاءً مقضياً، لا مفرّ منه ولا بدّ عنه، وقد رافق الفقد الوقوف إلى جانب أهل المتوفى، ودَفَع المتفنين إلى البحث عن آلية يُعزي فيها الفاقد، ويُوظف أدواته ليبثّ الأمل، ويشحذ الهمم ليتابع المبتلى ما تبقى له من حياة. إذ إنّ كتّاب الرسائل اجتمعت عندهم جملة من المعارف والأدوات التي أهلّتهم للتعمق في معانيها.

وتتحول رسائل التعزية إلى ذاكرة حافظة للفعل الإنساني الملتصق بالوجدان، حينما تؤكد شمولية الاندثار الذي لا يهاب أحد، ولا يملك أحد دونه قوة تدفعه، ولا مصرف منه أو محيص.

وقد عُنيت كتب كثيرة بالرسائل في العصر العباسي، ولكن لم نجد دراسة مستقلة مستفيضة ومنفصلة تناولت رسائل التعزية، ولعل من أجلّ الدراسات التي أفادت منها الدراسة كتاب الأستاذ الدكتور محمد الدروبي الموسوم بالرسائل الفنية في العصر العباسي، وهي دراسة علمية، اهتمّ الكاتب فيها بالرسائل العباسية في المُدة قبل نهاية القرن الثالث الهجري، وتناول في الكتاب

الرّسائل السياسية، والرسائل الإخوانية والعلاقات الشخصية، والرسائل الأدبية، وختم دراسته بالخصائص الفنية.

وهكذا فإنّ هذه الدراسة تحاول أن تعطي فكرة عن موضوعات رسائل التعزية، وأهم من قيلت فيهم، وجمالياتها التي امتازت بها دون الاهتمام بالتدرج التاريخي، وقد تناول التمهيد مفهوم الرسالة، وأهميتها في التواصل الإنساني، وبخاصة رسائل التعزية في العصر العباسي، وتعريف تلك الرسائل، وحكمها، وما يتحكم بها.

ثم خصّت الدراسة المعني بالتعزية في رسائل التعزية، وقد كانت في:

١- تعزية خليفة اليوم بخليفة الأمس (الخليفة الأب والأخ)

٢- التعزية بالأبناء: ذكوراً وإناثاً

٣- التعزية بالوالدين.

٤- والتعزية بالحيوان

وتناولت الدراسة بنية رسائل التعزية من حيث المضامين:

٥- الترغيب بالآخرة وذمّ الدنيا

٦- التذكير الدائم بالموت.

٧- والدعاء للمعزى.

ولما كان أساس موضوع الدراسة نماذج من رسائل التعزية من كتاب جمهرة رسائل العرب والتغلغل في أفكارها، فإنّ الدراسة استأنست

بالمنهج الوصفي التحليلي؛ للوقوف عند المعني بتلك الرسائل، ومضامينها وجمالياتها.

تمهيد: مفهوم رسائل التعزية، وقيمة رسائل التعزية

رسائل التعزية

فَن الرّسائل من الفنونِ الموغلةِ في القدمِ قدم الإنسان، فهو يُلبي حاجة الإنسان الطبيعي الاجتماعيّ في التواصل مع الآخر، وقد تنوعت الرّسائل وتعددت في موضوعاتها.

والرسالة كما ذكر ابن وهب: "... ويُقال لمن فَعل ذلك مرةً واحدةً: أرَسل يُرسل إرسالاً وهو مُرسل، والاسم الرّسالة، أو رَاسل يُراسل مُراسلة، وهو مُراسل، وذلك إذا كان هو ومن يُراسله قد اشْتركا في المُراسلةِ، وأصل الاشتقاق في ذلك أنّه كلام يُراسل به من بعيد، فاشتق له اسم التّرسل، والرّسالة من ذلك"(١).

ويُشترط أن يُلم كاتب الرسائل بمختلف المعارف، وأن يُراعي من يكتب إليهم، ويُستحب أن ينزل ألفاظه في كتبه" فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام، فإني رأيت الكُتّاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم، وخلطوا فيه"(٢).

وعلى الكتّاب أن يتنافسوا في صنوف الآداب والتفقه في الدين والفرائض والعربية؛ فهي ثِقاف اللسان، كما عليهم إجادة الخط، لأنها حلية الكتابة، ورواية الأشعار، ومعرفة غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، والنظر في الحساب؛ فهو قوام الخراج(٣).

وتُعد الرسالة " وسيلة التخاطب، فإنها تبدو بديلاً عن الأقوال التي يمكن أن يتبادلها متخاطبان أثناء الحوار"[٤]، أو هي "كل ما يرسل أو هي الكلمة شفوية أو مكتوبة يبلغها الرسول أو يحملها إلى من ترسل إليه"[٥].

رسائل التعزية في العصر العباسي:

مرت الدولة العباسية بمراحل من القوة والضعف، فكانت في باكورتها دولة ممتدة الأطراف، تميزت الخلافة باستقلالها وقوتها، وقد أحاط خلفاء بني العباس أنفسهم بالعلماء والفقهاء، وجمعوا بين الدين والدنيا، ومنحتهم سياستهم ضرباً من القداسة[٦]؛ فاخمدوا الثورات والفتن، وتواصلوا بالمراسلات مع قادة الثوار الخارجين عليهم، واستعملوا العقوبة والبطش[٧]؛

وقد زخر العصر العباسي بالأحداث التاريخية، والتقلبات السياسية، والتطورات الاجتماعية، التي نقلت العرب من حال إلى آخر، وهذا انعكس على الكتابة، فتطورت تطوراً ظاهراً، وارتفع شأن دواوين الرسائل، لكثرة أعبائه، وتشعبت فنون الكتابة تبعاً لتشعب أمور الحياة[٨].

ومن ألوان الرسائل الشائعة في الدولة العباسية رسالة التعزية، وتُعدّ لوناً من المشاركة الوجدانية، أجاد فيها المتفننون، تفيض بالمشاعر الإنسانية، والعاطفة الدينية الصادقة، تصدر بعد فقد عزيز أثير، وتحتفل بأحاسيس الألم والحزن، كما تحتفي بأساليب التشجيع للفاقد على تحمل الرزيئة، ومتابعة الحياة بالطاعات.

والتعزية مصدر عزَّى، إذا صبّر المصاب وواساه. يقال عزيته تعزية...والعزاء: الصّبر عن كل ما فقدت ... ويُقال: إنه لعزيّ صبور، إذا كان حسن العزاء على المصائب... تقول عزّيت فلاناً أُعزيه تعزية، أي آسيته،

وضربت له الأسى، وأمرته بالعزاء فتعزّى تعزياً، أي تصبَّر تصبراً، وتعازي القوم: عزّى بعضهم بعضاً "[٩].

ولا يخرج المعنى الاصطلاحيّ عن المعنى اللّغويّ في التعزية: فهي" الأمر بالصّبر، والحمل عليه بوعد الأجر، والتّحذير من الوزر بالجزع، والدّعاء للميّت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة"[١٠] .

وتكون التعزية لثلاثة أشياء:" **أحدها:** تهوين المصيبة على المعزى، وتسلية منها، وتحضيضه على التزام الصبر، واحتساب الأجر، والرضاء بقدر الله والتسليم لأمره.

والثاني: الدعاء بأن يُعوضه الله من مصابه جزيل الثواب، ويُحسن له العقبى والمآب.

والثالث: الدعاء للميت، والترحم عليه، والاستغفار له"[١١].

ورسائل التعزية واحدة من الرسائل الإخوانية" فموضوعات الرسالة الإخوانية اتسعت وتنوعت في القرن الثالث، بحيث أصبحت قادرة على الوفاء بكلّ ما يعتمل في نفوس الكُتّاب من عواطف وأحاسيس، وما يَجيش في صدورهم من نوازع، وما يختمر في أذهانهم وعقولهم من معانٍ وأفكار، وقد عالج الكتاب أفكارهم في سهولة ويُسر، ودلّت رسائلهم على مدى ما كانت تتمتع به الحياة الأدبية حينذاك من خُصوبة في التفكير، فقد عمدوا إلى ضروب من الحيل العقلية والفكرية، وتفننوا في توجيه المعاني وتوليدها وتقليبها أو تصريفها لتتسع لمدلولات وإيحاءات تجمع بين الجِدّة والطرافة؛ فالكاتب حين... يُعزي فإنّه لايقف بتعزيته عند الموقف الخاص بل يتعداه إلى" العموم"

بحيث تحدث التعزية تأثيرها في التخفيف من وقع المصيبة على أهل المتوفى حيث يشاركه في مصابه الناس كلهم "[١٢].

وتقدم التعزية على فقد الخلفاء، والأقرباء من ذوي الرحم الموصولة: فيمن فقد أباه وأمه وأخاه وابنه وابنته، وتتجاوز التعزية الأحبة والأقرباء إلى التعزية على فقد حيوان أثير.

وحدث الموت يفصل بين حياتين: الدنيا(العاجلة) والآخرة (الآجلة)، فتكون نهاية للدنيا، وبداية للحياة الآخرة، وهو سبب القلق الحقيقي بما أنّه" أعظم غموض وأكبر سرّ واجه الإنسان"[١٣] فارتبط مفهوم الموت "لدى الكثيرين بانفعالات عنيفة ومشاعر جياشة واتجاهات سلبية، تتجمع معاً مكونة ما ندعوه بإيجاز " قلق الموت""[١٤]، إلا أن الموت في الثقافة الإسلامية يجب ألا يبعث خوفاً أو رهبة أو قلقاً أو توتراً ؛ لأنه يمضي بقدر الله وقضائه وحكمته، فهو يقتضي أن يعيش الإنسان عمراً زائلاً في هذه الحياة الدنيا، وعمراً خالداً في الحياة الآخرة[١٥].

إنّ المحفز المهم في عملية المكاتبة في رسائل التعزية هو الفقد، وهي تندرج ضمن الرسائل الإخوانية، وتكشف تلك الرسائل عن شكل العلاقة الإنسانية التي تربط المرسل بالمرسل إليه.

أما عن المكاتبات في التعزية فحكمها حكم التهاني، كما ترتبط" بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال، لما تتضمنه من الإرشاد إلى الصّبر والتسليم إلى الله جلّت قدرته وتسليم المعزى عما يسليه بمشاركة السابقين فيه، ووعده بحسن العوض في الجزاء عنه إلى غير ذلك، مما ينتظم في هذا المعنى.. قال: والكاتب إذا كان جيد الغريزة حسن التأتي فيها، بلغ

المراد. ثم قال: وحكمها حكم التهاني من الرئيس إلى المرؤوس، ومن المرؤوس إلى الرئيس، ومن النظير إلى النظير"[١٦].

وجدير بالذكر أنّ التعزية تتحكم بها " موضوع التعزية، ونوع الحادث، فقد أشار ابن الأثير إلى أن تعازي النساء غير تعازي الرجال، وهي تختلف من شخص مات على فراشه وآخر مات غرقاً أو شهيداً، ويعرف ذلك أرباب المكاتبات النثرية والشعرية، والتعازي والتهاني يجريان في مختلف طبقات الناس من الأعلى إلى الأدنى، وبالعكس ومن النظير إلى النظير"[١٧]، ويشترك المظهران: المفرح والحزين، وهكذا فالكاتب في موطن التعزية يقدم صورة" تتشح بلباس كالح يقطر حزناً وألماً"[١٨]، و"يحاول أن ينفذ إلى نفس المعزي ليسليه عن مصابه فاتحاً أمامه باب تحمل المصيبة؛ لأنها قدر محتوم من الله تعالى، وداعياً له بحسن العاقبة"[١٩].

المعني بالتعزية في رسائل التعزية وأضربه:

بما أنّ الموت لا يأمنه الكبير ولا الصغير، ويخشاه السُّلطان والرّعية لسطوته ومباغتته، فإنّ رسائلَ التعزيةِ كُتبت في الجميعِ، لم يَسْلم منها أحدٌ: طفل صغير، ورجل كبير، وامرأة، وغيرهم، وهكذا" فقد تعدد أضرب التعزية، فمنها التعزية بالابن، والبنت، والتعزية بالأب والأم، والتعزية بالأخ والزوجة وغيرها"[٢٠].

ومن الشّعائر الطقسية المألوفة التي ترتبطُ بحدثِ الموت رسائل التعزية، للمحافظة على صورة الحياة في شكل من أشكال مواجهة هيبة الموت وتجاوز مرارته، ووسيلة لبعث الحياة، وهي من القيم الجمالية التي تتضمن الإحساس بمشاعر الإنسان، وتفاعله مع الآخر، واحترامه والتخفيف عليه في مصابه.

وتقترن الصّلة بالإنسان المكلوم في موقف الفقد والوقوف إلى جانبه بالأخوة الصادقة والمودة الصافية، كما أنّ التخفيف من آلامه وبلسمة جراحه وثيقة الصّلة بالسُّنة النبوية، ومكارم الأخلاق " وقد اتسعت مجالات التعازي في هذا العصر اتساعاً بيناً، وشارك كثير من الكُتاب في هذا الجنس من أدب المناسبات المعبر عن أحد المظاهر الاجتماعية، ويبدو أن كثرة النوائب وتعدد أسبابها كانت حافزاً على الكتابة في هذا الباب، وقد شملت رسائل العزاء موضوعات جديدة تمثل حلقة من حلقات التطور الذي أتيح للنشر في هذة المدة، ويمكن للدارس أن يتدرج في تناول موضوعات رسائل التعزية بالنظر إلى قرابة المتوفى من الشخص المعزى الذي توفد إليه رسالة المواساة"(٢١).

ولعلّ من أهم من وجهت لهم تلك الرسائل:

أولاً: تعزية خليفة اليوم بخليفة الأمس: (الخليفة: الأب والأخ)

تَكشفُ رسائلُ التعزية الموجهة للخلفاء عن مستوى مختلف من المخاطبين، كما تُؤكد تفاعلَ الكتّاب مع أحداث محيطهم، وتتصف تلك الرسائل بالطابع الإنساني الرفيع، فهي تُنبئ على رقي الحضارة وأبهة السلطة والملك، ويُقيم فيها الكتّاب تخاطباً خاصاً، ويُجرون تواصلاً حميمياً مع الآخر، وقد سار الكتّاب في تلك الرسائل وفق منهج عام، إذ تكون الرسالة بين أمرين: يبدو فيها شعور واضح بالحزن، وبخاصة أنها تشير إلى خليفة ولّى وتُذكّر بقيمته، وبين المواساة، فهي موجهة للخليفة الوريث وبيان أهميته في متابعة شؤون العامة والخاصة.

فتأسيساً على ما سبق، يتقاطع الحضور والغياب في رسائل التعزية، حضور ظاهر: وهو كاتب الرسائل، ويتصدر كل شئ ، ونستشعر _أيضاً_ بحضور المرسل إليه المتألم المتوجع، الذي يحتاج إلى من يقف معه والدعاء

له، أما الحاضر الغائب الخفي فهو المتوفي المحور الرئيسي الذي تذكر أفعاله الحسنة، وهو المحفز والباعث لتلك الرسائل.

وتصطبغ الرسائل التي تُرسل إلى الخلفاء بالحمد على الكرامات التي منحها الله لخليفة اليوم، وللخليفة الذي أفِلت شمسُه، ويُعلل الكاتب أهمية الخلافة، ولا ينسى أن يدعو لخليفة اليوم بالصّبر على الفقد، والنعمة على أفضل الشكر، فقد وصلته الخلافة، وهو أهل لها، كما تَحثُّه على الإعداد للآخرة، وقد كان الفعل الماضي " **جعل**" محوراً في بيان وظيفة الخليفة في حفظ الدين، وحماية الناس ورعايتهم، ثم تأتي في صيغة الدعاء" فنحمَد اللهَ الذي جعلَ فيكم"، وتكرار الكلمة لغاية دلالية تتعلق بالانفعال النفسي، وما يُحدثه الفعل من أثر في كلّ موضع؛ ليستمد منه مظاهر الطمأنينة والثبات، وقد ظهر هذا جلياً في رسالة التعزية التي قدّمها غسّان بن عبد الحميد[٢٢] في والد خليفة (لم يذكر اسمه) يقول:

"أما بعد، فإنّ اللهَ جعلَ خلافَته حفظاً لدينِه، ورحمةً لعبادِه، ثم جعلَ لهم أولياءَ خلفاءَ يتوارثونها، ويتداولون الكرامةَ من اللهِ بِها، فتنقضي مدةُ ماضيهم لخِيرةِ اللهِ إياه، وتأتي خِلافةُ باقيهم لاصطناعِ اللهِ له، فنحَمد الله الذي جعلَ فيكم أهلَ تلك الخلافةِ الذين جعلهم لها وُرَّاثاً فكان منهم الماضي الذي كانت له، والباقي الذي صارت إليه"[٢٣]

ومن الطبيعي أن ترسم مثل هذه الرسائل شبكة من العلاقات الإنسانية، علاقة العامة والخاصة بالخليفة، كما يُكثّف كتّاب الرسائل من حضور الآخر، وينسحب هذا الوصف على جلّ رسائل التعزية، ويظهر هذا جلياً في كتاب جبل بن يزيد[٢٤] تعزية وتهنئة للخليفة العباسي المهدي، وقد شغل التضاد سمة واضحة في التعازي، لما له من قدرة إيحائية يُسهم في

تفعيل الرؤية في عقد مقارنة بين حالين، كما يحمل طاقات لغوية في طياته، ليحقق التأثر الوجداني: حين يستذكر تاريخ الخليفة الراحل، وأثر الموت في سلبه قدرته، وأمله في الخليفة القادم، وهكذا فإنّ استراتيجية الرسالة تكون بين: السّلب والإيجاب، والحضور والغياب، وهذا التوازن الجمالي باستخدام المقابلة ودوره في تكثيف الدلالات؛ يأتي لتخفيف وطأة الموت على خليفة اليوم، واستجلاب الأمن والقوة بعد رحيل خليفة الأمس، فهو يحاول أن يُضفي رؤية متفائلة أمام شعوره الخفي بالقلق.

وهكذا فإنّ الرسالة بين تهنئة وفرح وغبطة من العامة والخاصة، والتأكيد على أن بيعة خليفة اليوم سليمة مباركة، لا اعتراض ولا خلاف عليها، وحزن وأسى على خليفة الأمس الذي ترك بصمته ومضى، يقول" وأعظم بالمصيبةِ مصيبة نزلت، وأعظم بالنعمةِ نعمة حدثت"، وينسحب الحمد على الرسالة لحكمة جرت في خلق الله، فأمر الفجائع ينفلت وصفاً لأحاسيس تسري في النفس: ما بين التذكير والتحذير، يقول:" والحمدُ للهِ على ما تَلافَى به عباده في بلائه، من نعمته التي لمّ بها الشّعثَ، وجَبرَ بها المصيبةَ وشدّ بها أركانَ الإسلامِ وأهلِه، وأعظِمْ بالمصيبةِ مصيبةً نَزَلَتْ، وأعظِمْ بالنعمةِ نعمةً حَدَثَت. وإن أحقّ من انتصحَ لله في قضائِه، واعترفَ بوجود حُسنِ بلائه، مَنْ عَلِمَ أن الفجائع أمرٌ جَرَتْ به سُنَنَ الله بين عباده تذكيراً وتحذيراً، ومنْ به انقادت معرفتُها، ووقعَتْ حُجَجُ الله على العباد فيها"[٢٥].

وتبتدئ تلك الرسائل بما يتناغم مع موضوعها، وتقدم تجليّاتها، إذ تعبٌّ من معين الحكمة، ويتعمقها التأمل، فالمقادير علم ثابت عند الله، جرت به الأمور، يقول غسّان بن عبد الحميد عن الخليفة المنصور الذي توفاه الله:" أما بعدُ: فإنّ الله تبارك وتعالى جعل المقادير عِلماً ثابتاً عنده، وكتاباً سابقاً منهُ، فَجَرت عليه ومَضَتْ به الأمورُ في قدرته، والعبادُ في قَبْضَته، وليس عبد

من عبيده إلا وقد كان عُمْرُه في الدنيا موظوفاً قبل خَلْقه، وكان ما يصيبه منها مكتوباً عليه قبل أن ينزل به"[٢٦].

وقد تتجاوز رسائل التعزية الوالد إلى الأخ، ويُعدّ الأخ السّند والعضد والصاحب في الحياة، وهو لا يُعوض، فمشاعر الأخوة لا تقلّ عن الإحساس بالوالد، ويكون الأخ في الغالب عوناً على نوائب الدهر، ولذلك كان فقده كسراً للظهر، واختلطت في بكائه المشاعر بين التفجعِ على فقد عزيز، وذكر محاسنه، وتعظيم فقده، وبين التخفيف على الفاقد؛ فالتعزية محورها الإنسان، وقد كانت رسائل التعزية في الإخوان تنفث لواعج الحزن والأسى، وحقيقة الواقع المؤلم، ويبقى التأمل بالموت جزءاً أساسياً ومن المفاصل المهمة فيها.

ولعلّ رسالة غسّان بن عبد الحميد من أجلّ مكاتبات التعزية التي تُمثل تلك الرسائل، وتبوح الرسالة بنوع من القرب والملازمة والمصاحبة بين الأخوين، أهلتهما لأن يأخذ كل واحد منهما مكانة أثيرة عند الآخر، ويصبح فرداً متميزاً.

وانطلاقاً من هذه الرؤية نجد أن غسّان بن عبد الحميد الكاتب عمد في تعزيته للخليفة بوفاة أخيه إلى التهدئة من روعه والتّسرية عليه، وتذكيره بثواب الله على صبره، وأنه المستخلف بعده، كما يُذكّره بالدّعاء له والصّلة له والصّلاة عليه، وقد اعتمد المرسل على حكمته وحنكته، ولغته الفاعلة النشطة، إذ يغوص في عمق اللفظه فيستخرج أعظمها تأثيراً:" جَعَلك المُستخلف بعدَه، في الصّلة له، والتّرحم والصّلاة عليه، والخلافة في رُكنه، ولم ينزل بك من المصيبة بأخيك،... فاذكر ثواب ربك، فهو خير لك من نصيبك من حياة أخيك، فاطلبْ بذلك صحبته، لا يرْزَؤك ولاترزؤه، ولاتدخل فُرقة بينك وبينه..."[٢٧].

وإذا ما وقفنا عند تمركز الشرط في الرسالة" وإذا ذكر الشيطان مصيبتك، فاذكر ثواب ربّك" ، وما يتتالى من أفعال ما هو إلا لبيان الحالة النفسية المتألمة للخليفة وتثبيته، وتتناول الفجائع التي تواجه الإنسان في السُّلطة، وتكون سبباً في الأسى، وأعظمها الفقد، ولذلك يُقيم الكاتب موازنة بين النعمة والمصيبة، إذ يقول:" وجعلَ اللهُ ما يرجع إليه خيراً له مما كان فيه، وجعل أجره خيراً من بقائه، وخلَفَه بأحسن خلافة، وأعانك على حسن الخِلافة من بعده"(٢٨).

ثانياً: التعزية بالأبناء: ذكوراً وإناثاً:

فتحت رسائل التعزية طاقات تعبيرية، تُضمر إحساسا بالألم، وتتضاعف فيها نفثات الحزن حينما ترتبط بالأبناء، وقد تعددت معاني رسائل التعزية في الأبناء: ذكوراً، وإناثاً، وامتازت بتنوعها، وكثرتها، وقد يكون فقد الأبناء من أكثر المضامين تأثيراً في القلوب؛ فهم من أجلّ الهِبات والنعم التي منحها الله لعباده، فالنفس لا تهدأ من روعها حينما يكون الفقيد فلذة القلب، وثمرة الحياة، وبخاصة إذا كان في مقتبل العمر، ونضارة الشباب.

ووقفت مثل تلك الرسائل التي اختصت بالأبناء عند فكرة الاحتساب والرّضا بما عند الله، والصّبر على قضائه، ويُذكّر كُتّاب الرسائل أن الفقد سُنة الحياة، فالصّبر علامة التقوى، كما تقوم رسائل فقد الأبناء على نسقين متعارضين، هما نسق الفقد والتعويض، والخسارة والعطاء، وفلسفة الكاتب المنفعلة تجاه ثنائية: الموت والحياة.

ولعلّ ابن المقفع من أشهر من تواصل بمثل هذه الرسائل الأخلاقية، وهي رسائل تتصف بالقصر، فالموقف موقف إيجاز، ويفيض بالحسّ الإنساني والتجديد اللفظي، فمن يُمعن النظر، سيجد الأفعال تتالى ليحقق بها أداءً فنياً

ومعنوياً: " أعظم، أحسن، عجل" الذي يؤدي معنى الدعاء، إذاً: الدعوة للفاقدين على القدرة على الاحتمال والصّبر ليسلوا عمن فارقوا؛ ليُضاف له الأجر، ويُشير أنّ صبره على المصيبة إدّخار له في الأجر، فيهوّن عليه الأمر، يقول:" أعظمَ اللهُ على المُصيبةِ أجْرَك، وأحسَنَ على جليلِ الرّزءِ ثوابك، وعجّلَ لك الخلفَ فيه، وذَخَرَ لك الثوابَ عليه"(٢٩).

ولا تختلف رسالته في العزاء ببنت متوفاة في المعاني التي تُدلل أنّ من أقسى الأمور على الآباء فقد الأبناء، وتأتي الرسالة مشحونة باللوعة، مع دعاء للفاقد ألا ينقص له عدداً، ولا ينزع عنه نعمة، ويمنحه الله العطاء على هذه الرزيئة، ويعطيه خيراً مما قبض منه، وتتعدد الصياغات التي تُشحن بالدعاء: يبتدئ بالفعل المضارع المسبوق بالنهي، ويُنْهي بالفعل الماضي، وتستقصي الرسالة التوازن الذي يُضفي صبغة جمالية حينما تنوعت الضمائر للفت الانتباه، والتهوين من المصاب، يقول في رسالة أخرى حول التعزية ببنت:

"لا يَنْقُصِ الله عَدَدَك، ولا يَنْزِعْ عنك نعمته التي ألبَسك، وأحسن العِوض لك، وجعل الخَلَف لك خيراً مما رَزَأك به، وما أطال خيراً مما قَبَضَ منك"(٣٠).

وقد تكون التعزية في أبناء الخلفاء، فتتسم الرسالة بالطول، لتبجيل الخليفة وقيمته بما يتناسب ورفيع منزلته بين المسلمين، فهو أهل للمنزلة الرفيعة، اختصّه الله بما هو أولى به، وأصبح عماداً لجميع المسلمين " عليه تجتمعُ أهواؤهم، وإليه تسكُن أملاؤهم (الجماعة، مفرد ملأ)، وبه يُصلح الله دينَهم"(٣١)، ويترتب على هذا المُصاب أن يشاركوه في الحدث الجلل، ففقد الأبناء مصيبة لا تحتملها إلا النفس الراضية بقضاء الله، ويولد انفعالات من

الحـزن حينمـا صـور ابـن الخليفـة" عَاريّـة مـن عَـواري نعـم الله" مركـز الفعـل الوصـفي، إذ تحمـل عاطفـة المواسـاة بتوظيـف الفكـر الفاعـل وتسـبطن مـرامٍ أخـر، فالعاريّـة: مـا تعطيـه غيـرك، فيعيـده إليـك، أي ستُسـرد وتَعـود تلـك الأرواح إلـى خالقهـا، لقد كـان هـذا الوصـف بمثابـة إطـار، ليهـوّن مـن معانـاة الفاقـد، يقـول جبـل بـن يزيـد:" وَقَـدْ كـانَ مِـن قضـاءِ اللهِ فـي ابـنِ أميـرِ المـؤمنين، مـا عَظُمـت بِـه المُصـيبة، وعَمّـت بـه الرّزيـةُ للمنزلـةِ التـي أنْزلـه الله بهـا مـن دينِـه وقرابتِـه مـن نبيـه ﷺ، مـع مكانـه مـن خليفتـه، ومـا كـانَ فيـه مـع ذلـكَ مـن الأمـلِ العظـيمِ، والرّجـاء الجَسـيم، الـذي بـه سـكنَتِ القلـوبُ، وأمّـل لجلـيلات الخطـوب، وكـان عاريَّـةً مـن عَـواري نِعـم الله، أنْعـم بهـا اللهُ علـى أميـرِ المـؤمنين، فاسـتمتَعَ بمـا أَعَـاره فيـهِ مِـن قُـرّة العـينِ والغِبطـةِ والسّـرورِ، إلـى أنْ بَلـغَ منتهـى مُـدّة مـا أُعِيـر، وقَضـى كـلّ ارتجـاعٍ أنْ يرتَجِعها مُعِيرُها فَيَبتِلي بها من.."[٣٢].

والمتأمـل لرسـائل التعزيـة فـي الأبنـاء، يلحـظ تنوعـاً ملحوظـاً، سـواءً أكـان المقصـود فيهـا ولـداً أم بنتـاً، فمشـاعر الحـزن والجـزع واحـدة، وقـد كتـب إبـراهيم بـن أبـي يحيـى الأسـلمي[٣٣] إلـى المهـدي يُعزيـه علـى ابنتـه البانوقـة[٣٤]، وقـد كانـت مـن أحـبّ الخلـقِ إليـه وأعـزّهم عليـه، فعلـى عظـم مـا نـزل بالخليفـة مـن مصـيبة، يـأتي الإبـداع الإنسـاني فـي الرّسـالة ليُخفـف مـن وطـأة الفادحـة، وهـذا الاسـتهلال بمحمـول دينـي رفيـع للتسـليم بقضـاء الله وقـدره، ولا يتخلـى الكُتّـاب عـن جماليـة المقـابلات فـي استحضـار مفـردات متوازنـة بقصـد التـذكير، وتنطـوي علـى جـوهر كشـف الحقـائق التـي تثيـر المتلقـي ليـنهض، لـذلك يُطالـب الكاتـب الخليفـة بالصّـبر والاحتسـاب، فكمـا أنّ علـى الخليفـة تأديـة حـق الله حينمـا يبتليـه بأخـذ حبيـب مقـرب، فعليـه بالمقابـل تعظـيم حـق الله فيمـا تبقـى مـن أعـزاء، وبـين أن هـذه سُـنة الله فـي خلقـه، فكـلّ حـي يصـير إلـى حتفـه، وليُطيّـب خـاطر الخليفـة، ويُهـدّئ مـن روعـه، يسـتعين بـأدوات معرفيـة ليُـدلل علـى السـكينة والطمأنينـة، وقـد وفـق فـي

دلالاته، من مثل: فعل الأمر" واعلمْ" لتأكيد حقيقة بالوعظ والإقناع بدلاً من الوقوف عند حدود البكاء والألم، واسترعى نظرنا بالمثيرات اللفظية متمثلة بالنداء، وفيه يُعلن الولاء والتقدير في العلاقات الإنسانية، وتنحو المؤكدات لتتوغل في دواخل الإنسان، وتشمل مخلوقات الله جميعها، تاركةً أثراً نفسياً وحسياً، فحياة الإنسان تتحول من التمام إلى النقص، فكما هو اليوم فاقد لابنته، في الغد سيكون مفقوداً، وهكذا برزت البنى اللغوية المتباينة المعنى، المتقابلة، وتختبئ وراءها جدلية: الوجود، والموت، فلا فائدة تُجنى من الهلع والجزع، يقول فيها:" أما بعدُ: فإنّ أحَقّ من عَرفَ حقّ الله عليه فيما أخَذَ منه، من عظّم حقّ الله عليه فيما أبْقَى له. واعلمْ يا أميرَ المؤمنين أنّ الماضي قبلك هو الباقي لك، وأن الباقيَ بعدك هو المأجورُ فيك، وأنّ أجْرَ الصابرين فما يُصابُون به، أعظمُ من النعمة عليهم فيما يعافَوْنَ منه"(٣٥).

ويتضح من الصورة الفنية الإشارية "عاريّة" أن تعزية ابن المعتز(٣٦) كانت في ابن أحدهم، وهي من الصور التي درجت في العصر العباسي، وتختزل تناقضات الحياة: الوجود والموت، والعطاء والأخذ، وبما أن الموت يبعث حزناً واستسلاماً فإنّ كُتّاب الرسائل يرفضون تلك الفكرة، ويسعون لِبثّ الاستقرار النفسي" عاريّة سرّك الله بُمدتها، وآثرك بثوابِها، وأثابك عن ارتجاعها، فأبشر بعَاجِلٍ من صُنعه، وآجِلٍ مِنْ جَزائه ومَثُوبته"(٣٧).

وتتسم تلك الرّسائل بالامتلاء بالحزن الذي يشيعُ في النفسِ الإنسانيةِ، والحزن في الأصلِ عاطفة سلبية إن سيطرت على الإنسان تحمله "على العكوف على النفس، والتفكير في شأنها، فهو انهزام أمام الكوارث، ومدعاة إلى العظة والاعتبار"(٣٨).

ثالثاً: التعزية بالوالدين: الأم والأب:

يُعدّ الأبوان ملاذ الإنسان في أحزانه وأفراحه، كما أنهما يفيضان بالعطف والمحبة، ومشاعرهما لا تتبدل ولاتتغير، ومحبتهما لأبنائهم ثابتة، ويكون حضورهما إلى جانب أبنائهم في كل اللحظات، في فرحهم، وألمهم ومرضهم ونجاحهم، ولذلك يتحول غيابهما إلى مرارة ومعاناة وألم مفعم بالقيم الوجدانية، ويثير في الأفئدة الأشجان، كما أنّ فقدهما يُهيّج العاطفة لقربهما ولمنزلتهما الرفيعة السامية التي كرّمهما بها الدين الإسلامي الحنيف.

ومن تلك الرّسائل التي تختزل الآم النفس المتعبة، وتحمل تغييراً لمجريات الحياة وطعمها رسالة في التعزية بالأم، ويُشكّل فيها البدء بالدعاء والانتهاء به حلقة الوصل التي تختزل الحالة الانفعالية والتفاعلية؛ لعظم الموقف وصعوبته، فالمصاب جلل، والمعزي لايستهين بعظم المفقود، إذ بوفاة والدته أُغلق باب من أبواب الدعاء، لكن ما يُخفف على الفاقد من وطأة الألم إقناعه بأمرين، باستخدام كاف الخطاب، في بيان ود الكاتب له وإخلاصه في معاملة من يخاطب،: برّه الموصول بأمه، وأنّ خَلْق الله كُلهم راجعون لبارئهم، وتَمثّل هذا في كتاب إسحاق بن الخّطاب [٣٩]إلى زيد بن الفرج يعزيه عن أمه:" غَير أنّ أمْلَكَ الأمرين بك حق الله عليك: التسليمُ لأمره، والرّضا بما وَقَعَ من قدره، والأخذُ من نفسِك بكلّ ما دعاك إليه بيتك من بُعْدِ صلاحه وحُسن عمله"[٤٠].

ومع إدراك الكاتب عظم الموقف، إلا أنه يُصرّ على تطيب خاطر الفاقد، ببنية الدعاء الاستهلالي، فاتخذ من الدعاء وسيلة لدحض الاستسلام بشكر الله على نعمه، يقول:" فإنك وَمثْلُك مِنْ حَمَلة النّعم، وذوي التقلب من الله في البلاء الحسن، لستم كمن يدع ما يلزم، وتجهل ما ينبغي له أن يعلمه"[٤١].

ويظهر في مثل هذه الرّسائل صدق العاطفة وشدّة الصدمة ورقة المشاعر مؤكداً على أنّ خطوب الأيام مقضية على خلقه، وأنّ أشدّ الفقد إيلاماً هو فقدُ الأمِ، وقد سيطرت على الكاتب الكآبة والأسى واعتراه الهمّ، ولو استطاع أن يشاركه في حمل الألم لفعل، وبخاصة أنه يعزيه في أقرب الناس إليه، وأصدقهم حباً، وجاءت ألفاظه تتشح بالسواد والأسى، وتختزل إيقاع النفس المتعبة:" مُصيبتك، مُصيبة، مُوجع، ألم،غام،غُمومك"وهو يتواشج مع عظم الحدث، وغرضه أن يشحذ همته بالدعاء في النهاية، ويتمثل هذا في كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب[٤٢]، يُعزيه بوفاة والدته" ومُصيبتك- أَكْرمَك اللهُ – بالوالدةِ لي مصيبةٌ، وما نَالك من ذلك لِقلبي مُوجِع. ولو كان في طاقتي أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبَك من أَلَم ذلك، لَحَمَلْتُ مثلَه على نفسي، وإني أحبُّ أنْ أكونَ أُسُوَتَك في كلّ سارّ وغامّ، ولا أتمتّع بأيامِ غُمومِك، ولا أقصّر فيها عن مقدار حالك، فعظّم اللهُ أجرَك، وجَبَرَ مُصَابَك، وضَاعفْ ثَوَابك"[٤٣].

وتحتفل الجمهرة برسالة تتصف بالطول، الذي يتناسب مع أجواء فقد الأب، ويتمثل هذا في رسالة إسحاق بن الخطاب في تعزية الهزبر بن صبيح[٤٤] في وفاة أبيه، وتثقل هذه الرسالة ببوح شجي، فيبث فيها الكاتب اللوعة والأسى لفقدان صاحبه والده، ويستهلها بألوان التصبر والتصبير، وتناول الكاتب عدداً من القضايا التي اجتهد في إثارتها، وتحمل طيفاً من الألم والمحاورة، إذ تصور محطات مختلفة تربط الوالد بابنه، وتتضافر كلمات الرسالة وتعابيرها لتجلي ببراعة الود في المشاعر، والإخلاص في المعاملة.

واستثمر الكاتب معارفه، مؤكداً على توالي فاجعة الموت على نحو واضح في كل الأوقات، وما يرافقها من تعب الذات فتنأى النفس عن حمل ثقلها، مما جعلها تُصاب بالحزن والأسى. وبعد أن هيّأ النفس لقبول الموت،

وبـيّن تناقضـات الحيـاة وتحولاتهـا وتقلباتهـا، وعجـز الإنسـان عـن وقـف الحقيقـة، فالحقـائق تتعـارض مـع الرغبـات، يـأتي إلـى تسـليم كـل مخلـوق بقضـاء الله وقـدره بلغــة فيهــا مــن التكثيــف والبلاغــة والإيجــاز والاستســلام لإرادة الله، يقــول:" وقــد كـان أبـو الهزبـر مخلوقـاً لمـا صـار لـه، لا يُـؤمنُ منـه الشـفقةُ عليـه، حتـى أتـاه منـه ما كان يُتَوقع، ونَزَلَ مِنْه ما كانَ لم يُنْكَرْ "(٤٥).

والكاتـب فـي كـل هـذا يوجـه كتابـه لصـاحبه، طالبـاً منـه الطمأنينـة بالتسـليم بإرادتــه عزوجـل، وأن يكـون مـن الشـاكرين وفـي هـذا راحـة لـه، فوجـد القـرآن رافـداً مهمــاً مــن روافــد رســالته، لمــا فيــه مــن معــاني الثقــة بــالله، والإيمــان والتســليم بقضــائه، وهــذا نهــج عــام فــي رســائل التعزيــة التوســل بــالقرآن ومعانيــه جلبــاً للمشاركة الانفعالية الوجدانية.

وتفــرض هالــة اللغــة تمركــزاً للآخــر بكــاف الخطــاب، فــالفراق يُشــكّل هاجســاً مــن الحــزن الــذي يتمثــل برحيــل الأب، ويتبــاين فــي مســتويات عــدة: الاختبــار، والإقــرار بالحجــة، يقــول:" وهــذا أوان اختبــار الله إيــاك بشــكر ذلــك، وإقـرارك بالحجـة عليـه فيمـا كنـت بـه محتجـاً علـى غيـرك، ودلـيلاً عليـه ممـا ذخـر الله لأهل الفضل"(٤٦).

رابعاً: التعزية بالحيوان:

إن الفقـد الحقيقـي هـو فقـد الإنسـان، ورسـائل التعزيـة ارتبطـت بـه، إلا أننـا وجـدنا ضـرباً مـن الرّسـائل فـي التعزيـة بحيـوان أثيـر، دلالـة علـى مكانـة الحيـوان عنـد العربـي، ودلالـة علـى اتسـاع مظـاهر الحضـارة العباسـية، وعنـايتهم بتلـك الحيوانات في قصورهم.

وتظهر تلك الرّسائل أن الحيوان أصبح وسيلة تسلية وترفيه في القصور، فلما مات قرد زُبيدة بنت جعفر المنصور، وزوج هارون الرشيد، نالها غمٌّ شديد، عرفه خاصتها: كبيرهم وصغيرهم، وقد كتب إليها هارون العَبْدي(٤٧)، ممازحاً أنّ من لم يعتد على التعزية في صغريات الأمور، وصل إلى عدم اكتراثه بالشريف السّني منها، وتمتزج تلك الرّسائل بالفكاهة والسخرية، ويسهم التضاد في إحداث الطرافة، عبر تواتر العلاقات الوصفية التي تلخص تجربة شعورية:

" الصغير المعجب/ الكثير المفرح، والتافه الخفي/ الجليل السني"

يُعدّ الاستهلال بأسلوب النداء للفت الانتباه ومنشطاً، ليهجس بما يريد، فوصف زوجة الخليفة بالخطيرة فيه إيحاء بالمبالغة في إظهارها للحزن، ويتسع الحسّ بالمفارقة، ليصل الكاتب بالهُزء إلى ذروته، ولذلك كان الكاتب الذكي جديراً بجائزة سنيّة بعد أن حقّق بنقده اللاذع مبتغاه، فكانت رسالته لإيقاظ زوجة الخليفة، يقول فيها:" آيتها السيدة الخَطِيرة، إنّ موقعَ الخطبِ بذهابِ الصّغير المُعْجِب، كموقع السرور بنَيْل الكثير المُفْرح، ومن جهل قدر التعزية عن التافه الخفي، عمي عن التهنئة بالجليل السني، فلا نقصك الله الزائد في سُرورك، ولا حَرمك أجْر الذاهب من صغيرك"(٤٨).

بنية المضامين في رسائل التعزية:

إذا ما عدنا إلى رسائل التعزية نجدها تفرض حالة من الحضور الإنساني، وتُشكّل خطاباً واحداً في الفعل التواصلي، يحفل بالعديد من القرائن اللفظية التي تصف الموت بكثافة، ولذلك تتشِحُ رسائل التعزية بألفاظ حزينة، تبكي الميت وترثيه، فتغلغل في عمق اللفظ وتلتقط أشده، مما يُذكّر بقيمة الميت، وما اتصف به من خصال حسنة ومناقب، ويعقبها المواساة لأهل

الفقيد، ودعوتهم إلى الصّبر عند نزول البلاء، ومقابلة قضاء الله وقدره بالتسليم والرّضا. ومن المعاني التي ارتكزت عليها الرّسائل في العصر العباسي ما يأتي:

أولاً: الترغيب بالآخرة وذمّ الدنيا:

ولما كانت رسائل التعزية تمثل الصوت الإنساني الذي يدعو إلى الاستمرارية، وتحرص على الاتصال بالآخر، وجدناها تمتلئُ بالتأكيد على أنّ الدنيا دار عمل واختبار، وهي دار ممر لا دار مقر، فالمتعة الحاضرة زائلة إذا ما فارقت الروح الحياة.

وهكذا اتخذ الكُتّاب مساراً واحداً ورؤية ثاقبة لما سيكون عليه الإنسان، فلم ينأ الكُتّاب في وصفهم لمساوئ الدنيا ووعودها الكاذبة التي تهدد الإنسان بالاستقرار، عن ذكر أن عليه السعي فيها لعمارتها، كما أن على المرء الأخذ منها والتزود للآخرة، وعدم الاغترار والاشتغال بها عن العمل الصالح، لأنّ ما عنده عزوجل خير وأبقى، والثواب عنده أعظم وأجزل، وجعل الله الموت حتى لا يطمع إنسان بالدنيا وخلودها، وتأتي هذه المقولات على شكل حكم للتأمل، والتفكر، وتعظم المشاركة الوجدانية حينما نجد الكاتب يستند إلى مرجعية واحدة، وحينما يُكثّف من استعمال القرآن، فأزمة التوتر والتوجس التي تلحق الموت عادة تحتاج من الكاتب أن ينزع إلى آيات القرآن لتثبيت السامعين، يقول ابن المقفع:" أما بعد، فإنّ أمرَ الآخرةِ والدنيا بيدِ اللهِ، هو يُدبرهما ويَقضي فِيهما مَا يَشاء، لا رَادّ لَقَضَائه، ولاُ معقب لِحُكمه، فإنّ اللهَ خلقَ الخلقَ بِقُدرته، ثُم كَتب عليهم الموتَ بَعد الحياةِ لِئلا يَطمعَ أحدٌ مِن خَلقه في خُلد الدنيا، وَوَقّت لكلّ شيءٍ ميقات أجل، لا يَسْتأخِرون عنْه ساعةً ولا

يَسْتقدِمون، فليسَ أحدٌ مِن خَلْقه إلا وهو مستيقنٌ بالموتِ، لا يَرجو أنْ يُخلصه مِن ذَلك أحدٌ، نسألُ اللهَ خيرَ المنقلبِ"(٤٩).

وتنفتح رسالة غسان بن عبد الحميد في التعزية على معاني الفناء من الدنيا، ويُذكر بزوال الحياةِ ونعيمها، ويؤكد في مستهلها قضاء الله وقدره بما يوحي بالتسليم لله تبارك وتعالى في كل الأحوال، وبضرورة حمد الله على كل شئ؛ فالدنيا لا تُذكر إلا مقرونةً بالآخرة، وهذا ينسجم مع النظرة الدينية ويتفق مع المفاهيم الإسلامية، التي تبرهن على قدرة الله، وتكون على صاحب العقل في الصّبر على الابتلاء والعناء، وتصطبغ الرسالة بالعموم بما يشبه الحكمة، ويظهر براعة انتقائه اللفظ، حينما استخدم ضمير الغائب في بيان حاجة الإنسان إلى التروي والتدبر عندما ينزل الله عليه البلاء، ومحمولات هذه الدلالة وانعكاسها على نفسية السامع، يقول:" أما بعد، فإنّ اَلله تبارك وتعالى تولى القضاءَ في خلقِه، وأوجبَ عليهم الرّضا بما قَضى به، والموتُ لا بُدّ منه، وأمر الدنيا إلى فناء كلّه، فما أشَبَه الباقيَ الذي يُنتظر الفَناء له، بالماضي الذي قد أتَى الفناء عليه، وأحوجُ ما يكون ذو العقل إلى عقله، وذو الفضل إلى فضله، حين ينزلُ به من قضاء ربه ما يبتِلي صَبره"(٥٠).

ويستفيض في تعزية أخرى في وصف الدنيا وبهرجها الزائف البرّاق، وشأنها الهين عند الله؛ فهي دار فتنة وغرور، وعلى الإنسان وضعها الموضع الذي تستحق، ولذلك قبضها الله عن أهل ولايته، وهكذا يستقي الكاتب من لفظة " الدنيا" مظاهر المشقة الإنسانية في بحثهم عن الديمومة، ولهاثهم وراء سراب، ويجتهد الكاتب في أدواته؛ إذ يتناول الدليل في مستهلّ الرسالة بجملة خبرية مُحمّلة بالمؤكدات، وأضفى إليها لفظة الجلالة:" إن الله":" أما بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى خلق الدنيا هينة عليه، زهيدة عنده، ثم أمر عباده أن ينزلوه المنزلة التي أنزلها الله بها، ثم أمتع البرّ والفاجر، والمحسن والمسئ... فليست

داراً اختارها الله لأهل ولايته، قبضها عنهم، وأمرهم بالإبعاد عنها بأنفسهم، وجعلها فتنة وغروراً"(٥١).

ونلحظ تكرار المعاني دون إخلال في قيمة الفكرة المبثوثة، فالكُتّاب يتصدون للفكرة ويُفصّلون فيها، وكل ما يتصل بها من قريب وبعيد، وهكذا يفتتح كاتب الرسالة الاستهلال بالحديث عمن لازم الدنيا وصحبها، وتعلّق بها وما تبلّور عن ذلك: المرارة تعتصره، ويعتريه الضياع والقلق، ولن يصل إلى الإحساس بالأمن، فقد عانى من ضآلة شأن الدنيا، وتقلّب أحوالها، والتنغيص بفجائعها، وآلامها واخترامها للأنفس، وهذا ما لا يمكن دفعه، ومن عوامل الربط بين العالم المحيط بالإنسان، وبين عالمه النفسي في صراعه استخدام لفظة " صَحِبَ"، وتتضاف جمالية الاستعارة في الملازمة، والمصاحبة، يقول: " أما بعد، فإنّ من صَحِب الدنيا لم يخل من تصرف أحوالها، وكثرة معاريض فجائعها، في اخترام الأنفس في خواصها، ومواقع البلايا بين ذلك فيما يهدها من الأسى، وكل ذلك لا سبيل إلى دفعه ولا حيلة يستعان بها عند نزوله"(٥٢).

وفي رسالة ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب، يعزيه في أمه، يؤكد استلاب وجود الإنسان لخطوب الأيام المقضية (جملة اسمية تتخذ مساراً مستمراً في الحدوث)، ويُعبّر عن إحساس عميق بالاستسلام لسلطة الغيب، ويرى أن بلايا الدنيا نافذة على العباد، ولا يمكن دفعها، ولو استطاع دفعها لأبقى الأصحاب والأحباب، يقول:" خُطوب الأيام مقضيّة على هذا الخلق، ولو كانت مدفوعةً عن أحد، لكثرة من يقيه من إخوانه، ويفديه منهم الأخصّ فالأخصّ من أعزائه وخلانه، سلمت منها وعريت من ملمها، وكان سبقي إلى ذلك أبرزَ سَبْق..."(٥٣).

ويؤكد الدور نفسه التي تسير عليه الدنيا: فلا خلود فيها، ولا أمان من فناء باستخدام الجمل الاسمية ، وتكرار" لا" ، ويختمها بالتذكير بضرورة الصّبر على الفقد، والتسليم بقضائه، بصياغات لفظية إنشائية تفيد الطلب(أدّ، أصبِحْ) وتستنطق تعارض الحقيقة مع الآمال والطموحات، فرغبة الإنسان الدوام والخلود، إلا أن نهايته الفناء، فما على الإنسان إلا الصبر والتسليم، يقول:" الخلود في الدنيا لا يُؤْمل، والفناء لا يؤمن، ولا سُخْطَ على حكم الله، ولا وحشةَ مع خلافته والأنس بطاعته، فأدّ ما استردّ صابراً، وأصبِحْ لما استرجع مسلّماً..."(٥٤).

ثانياً: التذكير الدائم بالموت:

تركز رسائل التعزية على سلطة الموت بِعدّها الحقيقة الواقعة التي تغير وتبدل، ويُستدل بها على تصورات معينة تجاه الكون والحياة؛ فمكاره الدنيا حالّة، وينسى المرء في قريب الدنيا وظواهرها العواقب، وتأتي قيمة الدنيا حينما ينشغل فكر الإنسان في التقوى وطاعة الله، ويؤسس بالتدبر رؤية واضحة، تنقله من حالة السّلب إلى الإيجاب في سلوكه وأفعاله " ومن جعل قلبه في الفكر والتذكر كان معافى معصوماً، وكلُّ كثير الدنيا قليلٌ، وكلُّ حالاتِها غرورٌ، غيرَ أنّ اللهَ برحمتِه جعلَ ما يتقربُ بِه العبادُ زاكياً عظيماً عِنده، فاصبر لأمرِه، وارضَ بقضائِه، وارجُ ما وعدَ أهل المعرفة بحقه من النعيم المقيم، والخلود الدائم، فيما لا تعلمه نفسُ، ولم تَرَه عين، ولم يخطُر على قلب، ولم تبلغه أمنيةٌ، فضلاً مذخوراً لأهلِ طاعته حين يُحلُّون عنده، ويتلذذون فيه بالشهوات، ويتجددون فيه على طول البقاء؛ قد فنى الموتُ وبقوا بعده كما كان يُفنيهم ويبقى بعدهم، وجميع العباد أسوة لأخيك في الموت الذي أتى عليه..."(٥٥).

لقد ركنت الرّسائل إلى تصوير الموت الدال بغرض التسرية عن المكلومين، فالموت صعب ثقيل، ووسط التأمل العميق في الموت ورهبته وفلسفته، تظهر المصائب هدايا لقوم صابرين، وبلايا لآخرين، يقول: " المصائب– أكرمك الله– هدايا لقوم، وبلايا

على آخرين، فَجَعلك الله ممن عَقَل، عندما استعملَ الشّكرَ عند الإمتاع، والصّبر عند الارتجاع"[٥٦].

ثالثاً: الدعاء للمعزى:

تُشكّل الجُمل الدعائية مكوناً مهماً من مكونات خطاب رسالة التعازي، لما له من أثر في الفكر العربي، إذ تنحو تلك الرّسائل إلى الوعظ والإرشاد، وتنبئ عن التأثير التواصلي في المعزى، ولذلك تحتفل التعازي بصيغ الدعاء للتهوين من هول الفاجعة، ومن غلبة الحزن، وتمنح القوة للمعزى لينتقل من حالة الضعف التي تسيطر عليه، فلا يركن لشتات أمره، ويستحضر الشجاعة في مواقفه، ويشتغل بعظائم الأمور في حياته.

والملاحظ أن صيغ تلك الجمل الدعائية تعددت وتنوعت، ويستمر كل كُتّاب الرّسائل بالإلحاح في تكرارها، كشيفرة مهمة في المشاركة الوجدانية مع الآخر، وتولد مثل تلك العبارات إنسان متسامح متصالح، فالدعاء أداة جمالية، تنفذ إلى قلب الفاقد لتنقذه من الهموم والوساوس، ومن ذلك ماكتبه الحسن بن وهب[٥٧] في التعزية إلى عبد الرحمن بن خاقان، باستخدام الفعل الماضي ليحرسه الله من المكاره والمصائب، ويعصمه في أقواله وأفعاله فتطيب نفسه، يقول:" حرسك الله من المكاره والغِير، مؤيداً بالتوفيق والعصمة في القول والعمل، إن نعمة الله عليك فيما عصم من دينك ونفسك، وألَهمك حظك ورشدك في السعي لمعادك..."[٥٨].

وقد وفق الكاتب في تدليله بالدعاء على التسليم بقضاء الله وقدره، وترسيخه معاني الطمأنينة والسكينة بأن يُعين الله الفاقد على قضاء الحق عليه، وقضاء الحق له، يقول:

" وإليه أوجّه الرغبة في إلهامك الصبر، وحسن المعاونة لك على قضاء الحق عليك، وقضاء الحق لك..."[٥٩].

وتفيض رسائل التعزية بالوضوح وترمي إلى تحقيق غاية محددة، وتشفُّ عن رؤى ذاتية وفكرية كالتذكير بالمصير والنهاية، وتنمّ على المشاركة بكثافة العبارات المتناغمة مع فكر السامع، من دعاء له بعظم الأجر، وجبر الكسر، ومضاعفة الأجر، كما في رسالة ميمون بن إبراهيم يعزي أحدهم بوفاة أمه:" فعظّم اللهُ أجرَك، وجبر مصابك، وضاعف ثوابك، فإنا لله وإنا إليه راجعون...أعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، وجعل الله الأمير وارث أعمارنا، والباقي بعدنا، والمؤمل لخُلُوفنا وأعقابنا..."[٦٠].

ويمعن الكاتب سعيد بن حميد[٦١] في رسالته لمحمد بن عبد الله الطاهر بجمل الدعاء كلازمة تكرارية، وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، ويسوقها لنا بسلاسة وسهولة، لتعين السامع على الاستمرار، كما يدعو له براحة الذهن والتوفيق بعاطفة صادقة " وإنما أسأل الله عزوجل أن يوفق أمير المؤمنين لِما يُعْظِم به أجرَه، ويُجْزِل به مَثُوبَتَه، ولا يَهُدّ له ركناً، ولايُرِيه في شئ من عواريه لديه ومَنَائِحه نقصاً ولا غِيَرَاً، ولا تَبْديلاً، بِمَنّه ولطفه"[٦٢].

وفي رسالة أحمد بن يوسف[٦٣] إلى عبد الله بن الطاهر يعزيه بأبيه، يفيض عليه بالدعاء،؛ ليحتسب المصيبة عند الله، وليعظم شأنُه، وتحسن عاقبتُه، ويرأب صدع المصيبة التي ألمت به،، ويلملم شتات أمره. وهكذا فإنّ سلطة الجمل الدعائية قادرة على بثّ نفسها وهي نِتاج انفعالات الكُتّاب، بصور وأدوات متنوعة، يقول" فنسأل الله أن يَرْأبَ هذه الثُّلْمة، ويَسدُّ هذه الخَلَّة بأمير المؤمنين أولاً، وبك ثانياً، وأن يَعظّم مثوبتك وَيُحْسِن عقباك، ويخلُف بك ذا اليمنيين ويَعْمُر بك مكانه..."[٦٤].

الخاتمة

لم يفقد كُتّاب الرّسائل في العصر العباسي فعلهم التواصلي بفضل الرقي الحضاري، والحسّ الإنساني الرفيع، وأكدوه في عملية التواصل بالرسائل التي تستند إلى شكلٍ من أشكال المكاتبات الحميمية الشخصية، ومنها رسائل التعازي، التي تفيض بالمشاعر الصادقة وانفعالات الكُتّاب بحدث الغياب (الفقد)، وقد زخرت كتب التراث بتلك النماذج التي ضمّها كتاب جمهرة رسائل العرب.

ويتبين لنا من قراءة تلك النماذج من الرسائل الآتي:

أولاً: توسّل كتاب الرّسائل إلى التنوع اللفظي، والثراء التعبيري والدلالي، ولا تخلو تلك الرّسائل من جدة وطرافة وإبداع وتجدد وتعدد للمضامين، بدليل كثرة الرسائل التي قيلت في: الأبناء، والخلفاء، والآباء، وتعدد كتاب الرّسائل الذين برعوا في هذا الضرب من الكتابة.

ثانياً: كشفت رسائل التعزية عن مستويات مختلفة من المخاطبين، وأكدت تفاعل الكتاب مع مجريات أحداث محيطهم، وترسم شبكة من العلاقات الإنسانية، والمشاركة الوجدانية.

ثالثاً: حظيت رسائل التعزية بخصوصية: في المناسبة، والموضوع، ولكنها بشكل عام سارت وفق منهج عام فكانت بين الحضور والغياب، وتنم تلك الرسائل على طاقات تعبيرية تضمر إحساساً شديداً بالألم، وتنفث لواعج الحزن والحسرة، كما تشجع الفاقد على متابعة الحياة بقوة، وتثير فيهم الاستعداد طالما أن الموت مصير الجميع، وتفيض رسائل التعزية بتذكير الأحياء بالموت والموتى، وفيه عظة وعبرة وخشية واحترام.

الهوامش

(١) إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب أبو الحسين (ت٣٣٥ هـ)، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: عبد الحميد العبادي، تقديم: طه حسين، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٠، ص١٥٢-١٥٣، قد استخدم العرب " الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية، لكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية" شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط٥، دت، ١٩.

(٢) محمد بن مسلم الدينوري ابن قتيبة الدينوري أبو عبد الله (ت ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٣، ص١٤-١٥، وعلى المترسل العلم بمواقع القول وأوقاته، فلا "يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيُقصّر عن بلوغ الإرادة، وألا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة، إلى الإضجار والملالة، وألا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السّوقة، بل يعطي كل قوم من القول بمقدارهم، ويزنهم بوزنهم" قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي أبو الفرج (ت٣٣٧هـ)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دت، ص٩٦.

(٣) عبد الرحمن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين (ت٨٠٨هـ)، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٣٠٧، " واعلم أن صاحب هذه الخطة لابد أن يتخير من طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما ينظر إليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها" ابن خلدون، المقدمة، ٢٤٧.

(٤) مجموعة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، ترجمة طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٥، ٢١٩

(٥) عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢، ص٢٢١.

وتعرف كذلك:" قطعة من النثر تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب، وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى ذلك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه، أومما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعان طريفة" (عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٦، ٤٤٨)

(٦) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية في التاريخ، دار المعارف، بيروت، ط٥، ١٩٧٧، ١٠/ ١٢٢-١٢٣ (يظهر هذا المنهج في سياسة الخليفة العباسي المنصور)

(٧) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ص٢٦٧.

(٨) محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٨٦، ص٢٧١، ص٧٥، ص٨٠، ص٨٥.

(٩) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور أبو الفضل (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

(١٠) زكريا بن شرف النووي الدمشقي أبو يحيى (ت٦٧٦هـ)، روضة الطالبين، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٤٠، " والتعازي" هي ما يُقال لأهل المصيبة أو ما يتمثل به من قول حسن، أو آيات بينات أو أقوال للرسول (ﷺ) أو أشعار، وغايتها تهدئة الخواطر، وتذكير أهل المصاب بالثواب على حسن اصطبارهم، يقول النويري:" إنما جعلت تسلية لمن عضته النوائب بأنيابها، وفرقت الحوادث بين نفسه وأحبابها..." (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧، ٥/ ١٦١) .

(١١) محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الحطاب الرعيني أبو عبد الله (ت٩٥٤هـ) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٢٣هـ، ج٣/ ٣٨. ويعرف التعزية:" الحمل على الصبر بوعد الأجر والدعاء للميت والمصاب"، نفسه ج٣/٣٨.

(١٢) فوري سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩١، ٤٨، و" تلك الرسائل الشخصية التي كانت تحبر بعيدة عن الديوان إلى أحد الإخوان في أمور خاصة لا تتعلق بشؤون الملك، ولا بسياسة الدولة، أو تتعلق، بها بصفة غير رسمية، كالتهنئة، والتعزية، والشكوى، والعتاب، والاستعطاف، وغير ذلك مما يصور العواطف الخاصة، بقدر ما بين الأفراد من روابط وصلات، " (محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٨٦، ص٩٩) .

(١٣) أحمد محمد عبد الخالق، قلق الموت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠، ١٩١.

[١٤] أحمد محمد عبد الخالق، سيكولوجية الموت والاحتضار، مكتبة الأنجلوالمصرية، الاسكندرية، ط٢، ٢٠١٨، ٢٥.

[١٥] أحمد محمد عبد الخالق، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦.

[١٦] أحمد القلقشندي أبو العباس (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى، دار الكتب السلطانية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٦، ٩/ ٨٠.

[١٧] انظر المصدر السابق ٩ / ٨٠.

[١٨] محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الفكر العربي، عمان، ط١، ١٩٩٩، ٢٣٨.

[١٩] رمضان صالح عباد، الترسل الأخواني عند عبدالله بن المعتز، مجلة كركوك، جامعة تكريت، ع١، م٦، السنة السادسة، ص٥.

[٢٠] القلقشندي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى، ٩/ ٨٠

[٢١] محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ٢٣٨

[٢٢] غسان بن الحميد: من كتاب الرسائل، ذكره ابن النديم في الفهرست" كان يكتب لجعفر بن سليمان بن علي، وكان بليغاً، وحلو الكلام، لطيف المعاني" (محمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن النديم (ت٣٠٨هـ)، الفهرست، ضبطه وشرحه: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ٣٢).

[٢٣] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٣٧، ١٠٨

[٢٤] جبل بن يزيد: هو كاتب عمارة بن حمزة، وكان مترجماً، من معدودي البلغاء البرعاء (ابن النديم، الفهرست، ١٨٩) .

[٢٥] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ص١٢٩

[٢٦] المصدر السابق، ٣/١٣٠

[٢٧] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ١٠٩

[٢٨] المصدر السابق، ٣/ ١١٠.

[٢٩] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٣ / ٥٦.

[٣٠] المصدر السابق، ص٥٦

[٣١] المصدر السابق، ١٢٢/٣.

[٣٢] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ١٢٢/٣

[٣٣] إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، أحد رواة الحديث، هو الشيخ العالم المحدث، أحد الأعلام المشاهير، قيل: إنه من المعتزلة، وله كتاب الموطأ (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ٣/ ٣٠٦، ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، رتبه وضبطه حسان بن عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤، ١/ ٧٠٤.

[٣٤] البانوقة: كانت سمراء، حسنة حلوة فلما ماتت، وذلك ببغداد أظهر عليها المهدي جزعا لم يسمع بمثله، فجلس للناس يعزونه وأمر ألا يحجب منه أحد، فأكثر الناس في التعازي (محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ٤/ ٥٩٣)

[٣٥] أحمد زكي صفوت، جمهرة أشعار العرب، ٣/ ١٤٦.

[٣٦] عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم، نشأ في قصر الخلافة بسامراء، وأصبح واحد عصره في الأدب والشعر. (شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ) وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١، ١٩٤٨، ٢٦٣/٢

[٣٧] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٤/ ٣٠٧.

[٣٨] أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٠، ص٨٥.

[٣٩] إسحاق بن الخطاب: ذكره صاحب الجمهرة، من كُتّاب قمامة بن زيد. (أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٢٨٦/٣) .

[٤٠] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٢٨٨/٣.

[٤١] المصدر السابق، ٢٨٨/٣.

[٤٢] ميمون بن إبراهيم، من الشعراء البلغاء، له ديوان رسائل، تولى المكاتبات في زمن الخليفة العباسي المتوكل (ابن النديم، الفهرست، ٢٠٠)، الحسن بن وهب: كان شاعراً بليغاً، ومترسلاً فصيحاً (ابن النديم الفهرست، ١٩٧) .

[٤٣] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٤/ ٣٤.

[٤٤] إسحاق بن الخطاب والهزبر بن الصبيح: ذكرهما صاحب الجمهرة أنهما من كُتّاب قمامة بن زيد. (أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٣/ ٢٨٦)

[٤٥] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٢٨٧/٣

[٤٦] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٢٨٧/٣.

[٤٧] عمارة بن جوين: بصري، متروك الحديث عند رواة الحديث، ضعيف عندهم، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، المجمع في الضعفاء والمتروكين، دراسة وتحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ط١، ص١٠٦.

[٤٨] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٣/ ٢٨٩.

[٤٩] المصدر السابق، ٥٧/٣. إشارة إلى قوله عزوجل " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ" (الأعراف ٣٤)

[٥٠] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٣/ ١٠٩.

[٥١] المصدر السابق، ١١٠/٣.

[٥٢] المصدر السابق، ٣/ ١٢٢/١٢١

[٥٣] المصدر السابق، ٣٤/٤.

[٥٤] المصدر السابق، ٢٥٦/٣

[٥٥] المصدر السابق، ١١١/٣.

[٥٦] المصدر السابق، ٢٦٣/٣.

[٥٧] تمت ترجمته سابقاً.

[٥٨] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٣٠/٤.

[٥٩] المصدر السابق، ٣١/٤.

[٦٠] المصدر السابق ٤/ ٣٤

[٦١] سعيد بن حميد: شاعر مترسل، عذب العبارة، كان يدّعي أنه من أولاد ملوك الفرس. (ابن النديم، الفهرست، ١٩٨-١٩٩) .، ومحمد بن عبد الله بن الطاهر: شاعر (ابن النديم، الفهرست، ٢٦١)

[٦٢] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ٤/ ٢٥٦

[٦٣] أحمد بن يوسف من المترسلين البلغاء (ابن النديم، الفهرست، ٢٠٣)

[٦٤] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ٤١٧/٣

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٣٧
- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٠.
- أحمد محمد عبد الخالق، قلق الموت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠
- أحمد محمد عبد الخالق، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- أحمد محمد عبد الخالق، سيكولوجية الموت والاحتضار، مكتبة الأنجلوالمصرية، الاسكندرية، ط٢، ٢٠١٨.
- أحمد القلقشندي أبو العباس (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى، دار الكتب السلطانية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٦.
- إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب أبو الحسين (ت٣٣٥هـ)، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: عبد الحميد العبادي، تقديم: طه حسين، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٠.
- جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج (ت٣٣٧هـ)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دت.
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة.
- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور أبو الفضل (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- زكريا بن شرف النووي الدمشقي أبو يحيى، روضة الطالبين، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ) وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١، ١٩٤٨.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط٥، دت.
- شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧.

- شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- عبد الرحمن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين (ت٨٠٨هـ)، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٦.
- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢.
- علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) المجمع في الضعفاء والمتروكين، دراسة وتحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية في التاريخ، دار المعارف، بيروت، ط٥، ١٩٧٧.
- فوري سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩١.
- مجموعة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، ترجمة طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٥.
- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، رتبه وضبطه حسان بن عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤،
- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (ت٣١٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.
- محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ط١، دار الفكر العربي، عمان، ١٩٩٩.
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الحطاب الرعيني أيو عبد الله (ت٩٥٤) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٢٣هـ
- محمد بن مسلم ابن قتيبة الدينوري أبو عبد الله (ت ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٣.
- محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٨٦.

الدوريات والمجلات:

- رمضان صالح عباد، الترسل الأخواني عند عبدالله بن المعتز، مجلة كركوك، جامعة تكريت، ع١، م٦، السنة السادسة.